

صورة البطل المسلم في أدب العماد الأصفهاني

"The Image of the Muslim Hero in the Literature of "Alemad Al-asfahani"

د. عاهد طه عيال سلمان

كليات التقنية العليا - الإمارات

البريد الإلكتروني: ahedtaha78@yahoo.com

تاريخ النشر: 2021/03/30	تاريخ القبول: 2021/03/26	تاريخ الإرسال: 2021/03/19
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص: تمثل شخصية البطل الفضائل المتعارف عليها في المجتمع، وخاصة الفضائل الحربية، حتى تتجه إليها الأبصار، وتستقطب الاهتمام، وتستثير الأخيلة، وقد كانت بيئة الحروب الصليبية بيئة خصبة تتمثل فيها شخصية البطل؛ لأن أدب هذه الحقبة مضى يمجّد الأبطال الذين خاضوا غمار هذه الحروب، وأبلوا فيها بلاءً حسناً، فسجل الأدب أسماءهم وأحاطهم بهالة من التقديس والإعجاب، وخلدهم في صورة حبيبة إلى النفس، قريبة إلى القلب، يزيّنها الإيمان، ويجملها اليقين.

وكانت الهزيمة التي تلقتها الأمة الإسلامية، باحتلال أرضها وبسط السيطرة عليها من قبل الصليبيين، تحتاج إلى بطل، تلتف حوله، ويوحد صفوفها، ويكون الخلاص على يديه، بطرد المعتصبين الفرنجة عن البلاد الإسلامية، ولهذه الحاجة الملحة، برز أبطال تمثلت فيهم صفات القيادة والبطولة، نذروا أنفسهم للوقوف في وجه الغزاة الطامعين في التوسع، واستيقظت الأمة على أيديهم من سباتها، فكانت الصحوة التي قادت إلى الانتصارات، وتكللت بفتح بيت المقدس، وصور الأدب هذه الانتصارات وتغنى بها، ومجّد القادة الذين عبّروا عن آمال الأمة وطموحاتها بالتحريض، وأشاد بدورهم في قيادة الأمة على دروب الخلاص والتطهير.

وتجلت صورة البطل المسلم لدى العماد الأصفهاني في شعره ونثره، من خلال تمجيد القيادات الإسلامية، ورسم الصورة المثلى للقائد المسلم، بكل ما يتحلى به من صفات وفضائل، مكنته من لعب دور محوري في

أحداث الصراع القائم بين المسلمين والفرنجية، إذ كانت شخصية البطل تعبر عن إعجاب المسلمين بتضحيات الأبطال في سبيل الأمة، وحمل تطلعاتها، والحفاظ على دينها، والذود عن حماها. وتتمثل البطولة في الفضائل والقيم العليا في المجتمع؛ لذا كان أدب العماد يصور البطل ويسبغ عليه الصفات التي تجعل منه المثل الأعلى في المجتمع الإسلامي. وكانت الشجاعة من أبرز هذه الصفات، وتشمل الشجاعة قوة العزيمة، وثبات القلب، والإقدام والجلد وقوة الاحتمال، والفتك بالأعداء، وقد ظهرت هذه السجاياء بشكل جلي، في صورة البطل التي رسمها العماد، وهذا ما سأحاول سبر أغواره في هذه الورقة البحثية.

الكلمات المفتاحية: الأدب، العماد الأصفهاني، البطل المسلم.

Summar: The personality of the hero represents the recognized virtues in society, especially the war virtues, so that the eyes can turn to them, attract attention, and stimulate the imagination. The environment of the Crusades was a fertile environment in which the character of the hero represented because the literature of this era has gone on glorifying the heroes who fought in the midst of these wars, and have performed well in them. Hence, literature recorded their names and surrounded them with an aura of sanctification and admiration, and immortalized them in an image of love to the soul, close to the heart, adorned by faith, and beautified by certainty.

The defeat that the Islamic nation suffered, by occupying its land and extending control over it by the Crusaders, needed a hero to rally around him and unify its ranks, and salvation would be in his hands by expelling the Frankish usurpers from the Islamic countries; for this urgent need heroes emerged. They were the qualities of leadership and heroism. They pledged themselves to stand in the face of the invaders aspiring to expand, and the Ummah woke up at their hands from its slumber. The awakening that led to victories and culminated in the conquest of Jerusalem. The nation is on the paths of salvation and purification.

The image of the Muslim hero was manifested by "Alemad Al-asfahani" in his poetry and prose, through the glorification of the Islamic leaders, and the drawing of the ideal image of the Muslim leader, with all his qualities and virtues, which enabled him to play a pivotal role in the events of the conflict between Muslims and the Franks. The admiration of Muslims for the sacrifices of heroes for the sake of the nation, carrying its aspirations, preserving its religion, and defending its protection.

The heroism is the virtues and the highest values of society. Therefore, the literature of baptism depicted the hero and bestowed upon him the qualities that make him the ideal in the Islamic community.

Courage was one of the most prominent of these qualities, and it includes courage, strength of determination, and steadfastness of heart, endurance, strength, and lethality of enemies. These attributes appeared clearly in the image of the hero drawn by the General, and this is what I will try to explore in this research paper.

Key words: literature, “Alemad Al-asfahani”, the Muslim hero.

1. المقدمة:

تركت الحروب الصليبية أثاراً ظاهرة في أدب القرن السادس الهجري، ظهرت جليلة في ما أنتجه أدباء تلك الفترة، التي شهدت تحولات كبيرة على الساحة السياسية، إذ استمر المدّ الصليبي في زحفه على المشرق الإسلامي، واستمرت معه حالة الضعف والتفكك التي كانت تسيطر على البلاد الإسلامية. وكانت ردة الفعل أن ظهرت قيادات صالحة، أخذت على عاتقها توحيد جهود الأمة، وتسخير طاقاتها ولمّ شملها، من أجل هدف واحد، مواجهة الغزاة ودحرهم عن البلاد الإسلامية. ونتيجة لكثرة الحروب والمعارك التي خاضها المسلمون مع أعدائهم، ظهر لون من الأدب يختص بتغطية أحداث الصراع القائم، ويدعو إلى الجهاد وتحرير الأرض والمقدسات، ويبحث على الوحدة بين الأقطار الإسلامية، ويصور الخطر الصليبي الذي يهدد الأمة، ويمجد الأبطال ويتغنى بانتصاراتهم. وكان العماد من بين أدباء ذلك العصر الذين شهدوا أحداث الصراع، وأثرت الحرب الدائرة في أديهم، فراح يصور المعارك بين الطرفين، ويخوض في تفاصيلها الدقيقة، من وصف للجيش وأسلحتها وخططها العسكرية، وقد ساعده في ذلك عمله في ديوان الإنشاء، وملازمته لبطلين من أبطالها، نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي.

وسأتناول في هذا البحث، صورة البطل المسلم، وما تميز به من صفات وفضائل أهلته للقيادة والبطولة، وعن دوره في الصراع مع أعداء الأمة، وعقد موازنة بين أبطال الجهاد والمتقاعسين عنه.

2. البطولة وعناصرها:

البطولة هي الغلبة على الأقران، وهي غلبة يرتفع بها البطل عمّن حوله من الناس العاديين ارتفاعاً يملأ نفوسهم له إجلالاً وإكباراً⁽¹⁾، وتمثل شخصية البطل الفضائل المتعارف عليها في المجتمع، وخاصة الفضائل الحربية، حتى تتجه إليها الأبصار، وتستقطب الاهتمام، وتستثير الأخيلة⁽²⁾، وقد كانت بيئة الحروب الصليبية بيئة خصبة تتمثل فيها شخصية البطل؛ لأن أدب هذه الحقبة مضى يمجّد الأبطال الذين خاضوا غمار هذه الحروب، وأبلوا فيها بلاءً حسناً، فسجل الأدب أسماءهم وأحاطهم بمالة من التقديس والإعجاب، وخلدهم في صورة حبيبة إلى النفس، قريبة إلى القلب، يزيّنها الإيمان، ويحمّلها اليقين⁽³⁾.

وكانت الهزيمة التي تلقّتها الأمة الإسلامية، باحتلال أرضها وبسط السيطرة عليها من قبل الصليبيين، تحتاج إلى بطل، تلتف حوله، ويوحّد صفوفها، ويكون الخلاص على يديه، بطرد المغتصبين الفرنجة عن البلاد الإسلامية، ولهذا الحاجة الملحة، برز أبطال تتمثل فيهم صفات القيادة والبطولة، نذروا أنفسهم للوقوف في وجه الغزاة الطامعين في التوسع، واستيقظت الأمة على أيديهم من سباتها، فكانت الصحوّة التي قادت إلى الانتصارات، وتكللت بفتح بيت المقدس، وصور الأدب هذه الانتصارات وتغنّى بها، ومجّد القادة الذين عبّروا عن آمال الأمة وطموحاتها بالتحريض، وأشاد بدورهم في قيادة الأمة على دروب الخلاص والتطهير.

وتجلت صورة البطل المسلم لدى العماد الأصفهاني في شعره ونثره، من خلال تمجيد القيادات الإسلامية، ورسم الصورة المثلى للقائد المسلم، بكل ما يتحلّى به من صفات وفضائل، مكّنته من لعب دور محوري في أحداث الصراع القائم بين المسلمين والفرنجة، إذ كانت شخصية البطل تعبر عن إعجاب المسلمين بتضحيات الأبطال في سبيل الأمة، وحمل تطلعاتها، والحفاظ على دينها، والذود عن حماها. وتتمثل البطولة في الفضائل والقيم العليا في المجتمع؛ لذا كان أدب العماد يصور البطل ويسبغ عليه الصفات التي تجعل منه المثل الأعلى في المجتمع الإسلامي.

وكانت الشجاعة من أبرز هذه الصفات، وتشمل الشجاعة قوة العزيمة، وثبات القلب، والإقدام والجلد وقوة الاحتمال، والفتك بالأعداء، وقد ظهرت هذه السجاياء بشكل جلي، في صورة البطل التي رسمها العماد، ومن ذلك قوله في نور الدين زنكي، يصوره غالباً للملوك وفارساً للفرسان وحائزاً للفخار، مستمداً القوة والعزيمة من الرحمن، يقول:

يا غالب الغلبِ الملوكِ وصائدَ الـ صَيِّدِ اللَّيْثِ وفارسَ الفرسانِ
لم تلقهم ثقةً بقوةٍ شوكةٍ لكن وثقتْ بُصرةَ الرحمنِ

ما زالَ عزمُكَ مستقلاً بالذي لا يستقلُّ بثقلِهِ الثَّقلانِ(4)

ويرسم العماد صورة جميلة لقوة العزيمة التي عند صلاح الدين، قاداته إلى النصر على أعدائه وإلحاق الهزيمة بجيشهم، وقد اهتزت الأرض من تحتهم، يقول:

كسرتهم إذ صَحَّ عزمُكَ فيهمْ ونكستهم إذ صارَ سهمهمْ نكسا
بواقعة رجَّت بها الأرضُ جيشهمْ دماراً كما بُسَّت جبالهمْ بساً(5)

ويصف العماد شجاعة صلاح الدين، وتمرسه في فنون القتال بالضرب والطعن، حتى أن دماء أعدائه قد شكَّلت غديراً بعد أن شَتَّت جموعهم، يقول:

وكمْ قدْ فَلَلَتْ جموعَ الفرنجِ بحدِّ اعتزامِ شباهُ طيرُ
بضربٍ تحذفُ منه الرُّؤوسُ وطعنٍ تخسفُ منه النُّحُورُ
وغادرتْ غادرهمْ بالعراءِ ومن دمه كلُّ قطرٍ غديرُ(6)

وكان أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين، من الأبطال البارزين في الصراع مع الفرنجة، واشتهر بشجاعته وقوته في المعارك، فوصف العماد شجاعته وقوة عزمته، وقدرته على القيادة العسكرية وتحقيق النصر، فيقول:

قرنتْ بالحزمِ منك العزمُ فأنسقتْ مآربُ لك عنها أسفرَ السَّفرُ
وكيف يُخْذَلُ جيشُ أنتَ مالِكُه والقائدانِ له التأييدُ والظَّفَرُ(7)

ويُعَدُّ الكرم من بين الصفات التي يتصف بها البطل، وهو كرم قائم على البذل في سبيل الله ورفعة الدين، لذا نجد في أدب العماد صوراً عديدة للبطل الكريم والحواد المعطاء، الذي يعطي دون حساب، ومن ذلك قوله في نور الدين زنكي، وقد وصفه بالمتفرد بالكرم دون غيره من الأنام، فقال:

وما في الأنامِ كريمٌ سواهُ فإن كنتَ تنكرني فتَّش(8)

ويصوره أيضاً بالبحر، وغيره من الملوك بالماء القليل، فهو غزير في فضله وإفضاله، يقول:

قدْ وَرَدَتْ البحرَ الخَضَمَ وخَلَفَ سِمْ مَلُوكَ الدُّنْيَا به كَالثَّمَادِ

الغزيرُ الإِفْضَالِ والْفَضْلِ والنَّا ئِلِ والعِلْمِ والتَّقَى والسَّدَادِ(9)

ولا نستغرب هذه الصور الفنية التي رسمها العماد للبطل نور الدين زنكي، فهو كالبحر في كرمه وجوده، ويذكر العماد في حوادث سنة 569هـ، موقفاً عن كرم نور الدين زنكي، فقد قال: "وكَلِفَ نور الدين في هذه السنة

بإفادة الألطاف، والزيادة في الأوقاف، وتكثير الصدقات، وتوفير النفقات، وكسوة النسوة الأيامي في أيامها، وإغناء فقراء الرعية وإنجادها بعد إعدامها، وصون الأيتام والأرامل ببذله، وعون الضعفاء وتقوية المقوين بعدله" (10).

ويتكرر عند العماد تشبيهه البطل بالبحر، ومن ذلك قوله يصف كرم صلاح الدين الأيوبي:

فأجرى بها من راحتيه بجوده بحاراً فسمّاها الوري أنملاً عَشراً (11)

ويُمثّل العماد لكرم صلاح الدين الأيوبي، وكثرة عطائه، فقد صوّر العماد مجلس صلاح الدين في مدينة دمشق، واستقبله للأكابر والأفاضل من أهلها، وأفضاله التي غمرت جميع من في المجلس، وفي ذلك يقول العماد: "وجلس يوماً آخر للأكابر والأمائل، والأكارم والأفاضل، فأضاء النادي، وفاضت الأيادي، وغدق الندى، وصدق الهدى، وكثر الكرم، وفّر العدم، وحفل الدر، ودّر الحفل، وشمل النظام وانتظم الشمل، وصان العلماء بالبذل، وأعان بأفضاله أعيان أهل الفضل، وفاز بالحمد وحاز الثناء، وأجاز الشعراء، وأكرم الكرماء، وروّج الرجاء، وأولى النعماء، ونعم الأولياء" (12).

وقد وصف العماد جانباً من عدل بطله صلاح الدين الأيوبي، وذلك حينما صورته وقد جلس في دار العدل، وحكم بين الناس بنفسه، واستمع إلى مظالمهم، ومنح الحقوق لأصحابها، وفي ذلك يقول واصفاً مجلس صلاح الدين: "وابتدأ بالجلوس في دار العدل وبحضرة القضاء والعلماء من أهل الفضل، واسترفع قصص المتظلمين...، وحقّق الحقوق، ورتق الفتوق، وأقام للشرع السوق، وأتم لرجال الرجاء بعدله الوثوق، وحلّ بانصافه كل مشكلة، وطب بإسعافه كل معضلة" (13).

ومن أبرز الصفات التي أثبتتها العماد لشخصية البطل صفة التقوى، خاصة أن البطل يقاتل أعداءه باسم الدين، ومن الملاحظ أن شخصية القائد الصالح في المجتمع الإسلامي لم تنسلخ يوماً عن شخصية الإنسان التقى (14)، ومن ذلك وصفه تقوى نور الدين:

قد استوى منك تقوى الـ إله سرّ وجهه

ثُقاك والمملك عند الـ قياس عقد ونحر (15)

ويصور العماد بطله نور الدين زنكي بأنه لا مثيل له في حفاظه على السنن، وإخلاصه العبادة لله، ويلزمه الورع في حلّه وترحاله، فيقول:

هل مثل محمود بن زنكي مخلص متوحد يبغي رضاك بكلّ فنّ

ورع لدى المحارب أروغ محرب في حالتيه إن أقام وإن ظعن (16)

كما يصفه العماد وقد تميز عن ملوك عصره بالعفة والتقوى، ويقول في ذلك: "وكان ملكها والذي يتولى ممالكها، الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي أعفّ الملوك وأتقاهم، وأتقاهم وأتقاهم....، وأرجحهم رأياً، وأوضحهم آياً، وهو الذي أعاد رونق الإسلام إلى بلاد الشام، فاستفتح معاقلها واستخلص عقائلها" (17).

ويربط العماد بين النصر الذي يحققه البطل وبين التقوى، فتقوى الله تأتي بالنصر، فمن يتق الله يمنحه أسباب النصر، ومن ذلك قوله في صلاح الدين الأيوبي:

رَأَى النَّصْرَ فِي تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلِّ مَنْ تَقَوَّى بِتَقْوَى اللَّهِ لَا يَعْدُمُ النَّصْرَ (18)

وقد تعددت المواقف التي يصور فيها العماد زهد بطله، ومنها عدم التفات البطل صلاح الدين الأيوبي إلى الغنائم عند انتصاره على أعدائه، ومن ذلك قول العماد: "وترك السلطان الأسلاب والخيول لأخذها، وكانت بأموال عظيمة، فما أعارها نظرة، ولا تردد أمره فيها، وفيها حصن كأنها حصون، وزرد موزون، وخوذ منها مذهب ومدهون، وسيوف ذكور تتولد منها المنون، وملابس رائقات تحار فيها العيون" (19).

ليست الغنائم فقط هي ما يزهّد فيه البطل، حتى الهدايا التي كانت تهدى إليه، كان ينفقها في عمارة المساجد، ويصف العماد زهد بطله نور الدين بقوله: "وأما ما يهدى له من الثياب والألطف والبرود والأفواف، وهدايا الملوك من المناديل والسكاكين والمهاميز والدبابيس، وكل كثير وقليل، ودقيق وجليل، لا يتصرف في شيء منه، بل يعرض بنظره عنه، وإذا اجتمع يخرج به إلى مجلس القاضي ليحصل أثمها الموفورة، ويصرفها في أمور المساجد المهجورة" (20)، وهذا يدل على زهد البطل في أمور الدنيا وابتغاء مرضاة الله عز وجل فيما يفعل.

ولم تكن هذه الفضائل والصفات هي ما يمثل الجوانب المختلفة للبطل، فقد خلع العماد على أبطاله الفضائل والمثل العليا التي تبنت فيها البطولة العربية الإسلامية، وهذه الفضائل والمثل تعبير عن فضلهم وجهودهم وتميزهم في مجتمعاتهم.

وقد رسم العماد صورة لبطله نور الدين، وأسبغ عليه من الصفات والمآثر ما يجعله يتفوق على غيره من ملوك زمانه، حتى أنه منزه عن العيوب، وفي ذكر صفاته يقول:

أَدْرَكَتْ مِنْ أَمْرِ الرِّمَانِ الْمَشْتَهَى وَبَلَغَتْ مِنْ نَيْلِ الْأُمَانِ الْمُنْتَهَى
لَا زِلْتَ نَوْرَ الدِّينِ فِي قَلْبِكَ الْهُدَى ذَا غُرَّةٍ لِلْعَالَمِينَ بِهَا الْبَهَا
يَا مُحْيِيَ الْعَدْلِ الَّذِي فِي ظِلِّهِ مِنْ عَدْلِهِ رَعَتْ الْأَسْوَدُ مَعَ الْمَهَا
يَا مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فِي خَلَوَاتِهِ مَتَأَوَّيًّا مِنْ خَوْفِهِ مَتَأَوَّهًا
وَلَكَ الْفَخَارُ عَلَى الْجَمِيعِ فَدُونَهُمْ أَصْبَحَتْ عَنْ كُلِّ الْعُيُوبِ مُنْزَهًا

وَأَرَاكَ تَحْلُمُ حِينَ تَصْبُحُ سَاخِطاً وَيَكَاذُ غَيْرُكَ سَاخِطاً أَنْ يَسْفَهَهَا (21)

ويبدو في هذه الأبيات، أن العماد قد لامس أغلب الصفات التي يتحلى بها البطل المسلم، من عدل وكرم وشجاعة وحكمة وصراحة بعيدة عن المكر والدهاء، وتقوى الله وطاعته، وزهده في الحياة الدنيا، وسهره على رعيته وقضاء مصالحهم، وحلمه، حتى غدا منزهاً عن كل عيب، وفاق ملوك زمانه.

وهنالك المواقف الإنسانية النبيلة، التي يتصف بها البطل في المجتمع الإسلامي، خاصة في التعامل مع الأعداء، فقد صور العماد بطله ذا نزعة إنسانية تميل إلى الوفاء والتسامح، ومن هذه المواقف ما فعله صلاح الدين الأيوبي مع صاحبة الكرك، حينما جاءت إليه تطلب فك أسر ولدها، ومعها زوجة ابنها، فما كان من السلطان إلا أن استقبلهن وأكرم وفادتهن، وفي ذلك يقول العماد: "فأكرم السلطان وفادتهن، ووَفَّرَ إفادتهن، وقَرَّبَ إرادتهن، وقَرَّرَ زيادتهن، ووهب لهن ولأتباعهن وأشياعهن ما كان يلزمهن ويلزمهم من مال القطيعة، ووصلهن بصلاته الرفيعة، وخصهن بما لاق بكرمه من حسن الصنيعة، ووَثَّقَهنَّ بُنْجَحِ الذريعة" (22).

ولعل الصور المتعددة التي يرسمها العماد لبطله لا تبتعد عن صور البطولة الإسلامية التي عرفها التاريخ الإسلامي، وقد حفظ لنا هذا التاريخ سجلاً حافلاً وصفحات مشرقة عن البطولة وشخصية البطل المسلم، فلا عجب أن يلحق العماد بطله بالسلف الصالح، ومن ذلك تصويره لنور الدين زنكي بداوود عليه السلام، في دفاعه عن الملة وحفظه لها، فيقول:

والمَلَّةُ الغُرَاءُ خَالٍ بِأُهَا عَالٍ سَنَاها بَكَ حَالٍ جِيدُهَا
مُفْتَرَةٌ تَغَوَّزُهَا مَمْنُوعَةٌ تَغَوَّزُهَا مُحْفُوظَةٌ حُدُودُهَا
وإنْ بَغَى جَالُوهُمُ ضَلَالَةً فَأَنْتَ فِي إِهْلَاكِهِ دَاوُدُهَا (23)

ويذكر العماد أن عدل بطله نور الدين قد عمَّ الرعية، وشمل البلاد، وهو عدل اتصف به عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، واشتهروا به، وفي ذلك يقول:

عُمْرَانُ عَدْلِكَ لِلْبِلَادِ كَأَتَمَّا قَدْ عَاشَ فِي أَيَّامِكَ الْعُمَرَانِ
سَيِّرٌ لَوْ أَنَّ الْوَحْيَ يَنْزِلُ أَنْزَلَتْ فِي شَأْنِهَا سُورٌ مِنَ الْقُرْآنِ (24)

ويسبغ العماد على بطله صلاح الدين من الصفات، مايشير إلى اقتدائه بالسلف الصالح، فهو كريم سخي كحاتم الطائي، وحكيم وقور كالأحنف بن قيس، فيقول:

وإِنَّهُ فِي السَّمَاكِ حَاتِمُهَا وَإِنَّهُ فِي الْوَقَارِ أَحْنَفُهَا (25)

ولم يكتف العماد بالربط بين البطل والشخصيات الإسلامية، بل استحضر شخصيات أخرى تاريخية، عُرفت بالحكمة والشجاعة، كالإسكندر ورستم، ومن ذلك قوله في أسد الدين شيركوه، والذي عُرف في مواقفه البطولية أثناء المعارك التي خاضها، يقول في وصفه:

أصبحت بالعدل والإقدام منفرداً فقل لنا: أعلني أنت أم عمر
إسكندر ذكروا أخبار حكمته ونحن فيك رأينا كل ما ذكروا
ورستم خبرونا عن شجاعته وصار فيك عياناً ذلك الخبر (26)

تلك هي أبرز الفضائل والصفات، التي خلعتها العماد على شخصية البطل المسلم في أدبه، ويبدو أنها لم تكن مزيفة، أو نتيجة انفعالات آنية، بل نابعة من مشاعر أديب عايش الصراع مع الأعداء، ورأى المواقف البطولية والمشرفة لهؤلاء الأبطال، فرسم بريشته صوراً لا تكاد تنسى لهم، وهذا ما يؤكد الواقع التاريخي لهؤلاء الأبطال ويؤيده، فالتاريخ يحتفظ لهم بمواقف وشواهد تعد مثلاً للشخصية الإسلامية النموذج، في فكرها وسلوكها، وجمعها لعناصر البطولة الإسلامية.

3. دور البطل في الصراع:

لعب أبطال الحروب الصليبية دوراً مهماً في أحداث هذا الصراع، واحتلوا مكانة مرموقة في تاريخنا الإسلامي؛ للجهود العظيمة التي قاموا بها، وظهرت هذه المكانة من خلال جهادهم المتواصل ضد الأعداء والحث عليه بشتى الوسائل، وسعيهم الدائم لاسترداد المقدسات ودحر المحتل، ومحاولاتهم الدؤوبة في رأب الصدع بين أقطار الأمة الإسلامية، فكانوا خير قادة للحروب والمعارك، والتي تكللت بنجاحات وانتصارات خالدة.

وقد أبرز العماد في أدبه الدور الذي اضطلع به البطل المسلم، ليس في قتال الأعداء فحسب، بل من خلال رعاية مصالح الأمة وشؤونها، وإشاعة الأمن والاستقرار، الأمر الذي أبرز حاجة الناس للبطل، وتعلقهم به رمزاً يعني لهم الخلاص من المحتل، ورسم العماد صورة وضاعة للبطل المجاهد في سبيل الله، فنراه يجهز الجيوش، ويقود المعارك بنفسه، ويشترك فيها تحفيزاً لهم جنوده، ويفتك بأعدائه ويحقق الانتصارات الساحقة عليهم، وهذا ما ظهر في أدب العماد بشكل جلي.

وأول ما يستوقفنا عند الحديث عن دور البطل في الصراع، شخصية البطل المجاهد، دائم السعي إلى الجهاد في سبيل الله، حتى أن الجهاد أصبح أمنية، بل من أحلى الأمناني التي تحقق الأمان لدى البطل نور الدين، يقول العماد:

أحلى أمانيك الجهاد وإنه لك مؤذنٌ أبداً بكل أمان (27)

وفي موضع آخر، يصوره مغرمًا بالجهاد والغزو في سبيل الله، وكأنه عاشق لا يستطيع الصبر عن المحبوب، يقول:

أصبحت بالغزو صَبًّا وعنه ما لك صبرٌ (28)

ويجعل العماد من بطله نور الدين مجاهدًا، لا يضاهيه أحد من الملوك في جهاده، لا في السر ولا في العلانية، يقول:

قل أين مثلك في الملوك مجاهدٌ لله في سرٍّ وفي إعلان (29)

ولا أدل من حب نور الدين للجهاد وتعلقه به، طلبه من العماد الأصفهاني بأن يعمل له دوبيتات في الغزو والجهاد، كان الهدف منه استنفار الأمة، وحثها على الجهاد في سبيل الله، ومنها قوله:

لا راحة في العيش سوى أن أغزو سيفي طرباً إلى الطلى يهترُ
في ذلّ ذوي الكفر يكون العزُّ والقدرة في غير جهادٍ عجز (30)

وقوله أيضاً:

للغزو نشاطي وإليه طربي مالي في العيش غيره من أرب
بالجد والجهاد بُحَّ الطلب والراحة مستودعة في التعب (31)

ويصور العماد اندفاع البطل للجهاد وتصميمه عليه، وتفضيله الجهاد على ملذات الدنيا، فيقول في وصف عزم السلطان صلاح الدين على الجهاد: "ثم رحل السلطان مقدماً، ولعزمه في الجهاد مصمماً، ولرأيه في بذل الوسع والاجتهاد متمماً، وسار في جيش مجر، لسيل الخيل مجر، من سواد القتاتم في ليل، ومن بياض البيض في فجر، ومن حب الغزو في وصل، ومن سلو الحياة في هجر، وفي أجرى أجرٍ وأنحى نحراً" (32).

ويلعب البطل دوراً بارزاً في المعارك التي يخوضها، حينما يقود جيشه في المعركة، ويبعث الحماسة والحمية في نفوس المقاتلين، ويفتك بأعدائه، ومن ذلك قوله في نور الدين:

كم بكر فتحٍ ولدتَه طُباك من حربٍ لقمع المشركين عوانٍ
كم وقعة لك في الفرنج حديثها قد سار في الآفاق والبلدان (33)

ويشيد العماد بدور القائد صلاح الدين في تحقيق النصر في ساحات الوغى، ويرى فيه مفخرة وعزاً للإسلام، فيقول:

بفتح عصرِكَ يفخرُ الإسلامُ وبنورِ نصرِكَ تشرقُ الأيام
دمٌ للعلا حتى يدومَ نظامُها واسلمَ يعزُّ بنصرِكَ الإسلامُ (34)

ولا ينكر العماد البطولة الجماعية في تركيزه على الدور المهم الذي يلعبه البطل في قيادة المعارك، فنجدته يركز أيضاً على إبراز التفاعل بين البطل وجنده في القتال، فالقائد رمز لجنوده في القتال يسخر طاقاتهم ويستفيد منها في القتال، وقد ذكر العماد نماذج لهذه البطولة الجماعية، والتي لعب فيها البطل دوراً مهماً من خلال توجيهها، فيقول العماد مصوراً جنود نور الدين وتأثرهم بحميته:

حملت عليهم من جنودك فتيةً لم تدرِ غيرَ حميةِ الفتيانِ (35)

ويؤكد العماد على الهدف الذي يقاتل من أجله البطل المسلم، وهو الجهاد في سبيل الله، ورفع راية الإسلام، ومن ذلك قول العماد في صلاح الدين الأيوبي ودوره في الدفاع عن الدين الحنيف وأهله، فيقول:

حمى حوزةَ الدين الحنيف بحوزه من الخالق الحسنى ومن خلقه الشُّكرا (36)

وبما أن البطل يمتلك العزيمة على الجهاد، ويشجع جنوده عليه، فهو مؤيّد من الله؛ لأنه يؤدي دوراً مهماً في هذه القيادة العسكرية، وفي ذلك يقول العماد مادحاً نور الدين:

مؤيّدُ أموره بعزيمةٍ من السمواتِ العلى تأييدها (37)

وقد أبرز العماد الدور الذي اضطلع به البطل في صراعه مع الأعداء، ليس من خلال رسمه لصورة البطل المجاهد فقط، وإنما من خلال سعيه لاسترداد المقدسات، ويتمثل ذلك في حث العماد على استعادة بيت المقدس، فيقول مخاطباً صلاح الدين:

فصبوا على الإفرنج سوطَ عذابها بأن تقسموا ما بينها القتل والأسرا

ولا تهملوا البيت المقدس واعزموا على فتحه غازين وافترعوا البكرا

تدمون بالمعروف طيب ذكركم وما الملك إلا أن تدموا لكم ذكرا (38)

ولأن هذا التحرير يتطلب وحدة بين الأقطار الإسلامية، فقد كان البطل ساعياً إلى هذه الوحدة، وفي ذلك يقول العماد مادحاً نور الدين على تحقيق الوحدة الإسلامية بين مصر والشام، في سنة 564هـ، تحت راية البطل القائد نور الدين، فيقول:

فملك مصرَ وملك الشام قد نظما في عقدٍ عزٍّ من الإسلام منتظم

محمودُ الملك الغازي يسوسُهما بالفضل والعدل والإفضال والنعم

بالشكر كل لسانٍ ناطقٍ أبداً محمودُ الملك محمودٌ بكلِّ فم (39)

ويصف العماد محاولات البطل لتوحيد البلاد الإسلامية، ومن ذلك نزول السلطان صلاح الدين الأيوبي على الفرات، ومكاتبته لأصحاب الأطراف للوفاق ونبد الخلاف، وفي ذلك يقول: "فلما جزنا الفرات وحزنا الثبات، وجمعنا من الرجال والرجال الشتات، واغتنمنا في الطيب الأوقات، وتسلمنا البيرة والعَمق، وأوسعنا على

العادة في ذلك الخرق، ورعنا بغربنا الشرق، كاتبتنا أصحاب الأطراف بالوفود للوفاق والتنحي عن مذهب الخلاف، وإنه من جاء مسلماً ولأمر مستسلاً، سلمت بلاده وصينت أطرافه وتلاده، على أن يكون من أجناده في غزو الكفار وجهاده" (40).

والبطل في مرحلة الصراع، يقود الأمة إلى سبيل الرشاد، من خلال استقطاب الرعية حوله، والاهتمام بشؤونهم، ورعاية أمورهم، فيؤدي البطل دوره كقائد عسكري، ينهض بعبء الجهاد ومواجهة أعداء الأمة، وحاكم يصرف شؤون الدولة ويهتم بأمور الرعية، ويصور العماد اهتمام نور الدين برعيته، وتيسيره لأمرها، فيقول:

إنَّ الرعايا منه في رعايةٍ ونعمةٍ مستوجبٍ مزيدها

لنومها يسهر بلْ لأمنها يخاف بلْ لخصبها يجودها (41)

ومن مظاهر اهتمام البطل برعاية شؤون المسلمين، إسقاط الضرائب عنهم، ويصف العماد في حوادث سنة 569هـ، ما قام به نور الدين من الأوقاف والصدقات وإسقاط الضرائب، وهو ما يدل على اهتمام القائد بأمور رعيته، فيقول: "وكلف نور الدين في هذه السنة بإفادة الألفاظ، والزيادة في الأوقاف، وتكثير الصدقات، وتوفير النفقات، وتغذية آثار الآثام، وإسقاط كل ما يدخل تحت شبهة الحرام، وأمر بأن تكتب مناشير لجميع البلاد، بإطلاق الطراف من الرسوم والتلاد، فما أبقى سوى الجزية والخراج، وما يحصل من قسمة الغلات على قوم المنهاج، وحسبنا ما تصدق به على الفقراء في تلك الأشهر، فزاد على ثلاثين ألف دينار من الذهب الأحمر" (42).

ويثني العماد على البطل المسلم، عندما يكون حريصاً على ابتغاء مصلحة الأمة، وعارفاً بما تحتاج، ومن ذلك مدحه لنور الدين عندما أسقط الضرائب المفروضة على الأمة، يقول:

أسقطت أفساطاً ما وجدت من الـ مكسٍ بعدلٍ والقاسط ارتدعا

ولم تدغ في ابتغاء مصلحة الدِّين لنا باقياً ولن تدعا (43)

ولعل العماد كان يهدف إلى إظهار جانب اهتمام القائد بأمور رعيته، وهدفه من ذلك إشاعة الأمن والاستقرار بين أطراف دولته الإسلامية، حتى تنهض بعبء مواجهة الأعداء، وكأنه يرسم سياسة القائد في تعامله مع رعيته، ويظهر ذلك من خلال توصية صلاح الدين لولادة أمره على معاملتهم للرعية بالعدل والإحسان، وتوفير مستلزماتهم في معاشهم، والتخفيف من أعباء الحياة عليهم، ليخلق بذلك مجتمعاً قوياً متماسكاً قادراً على دحر الأعداء واسترداد المقدسات.

وتمثلت رعاية أمور المسلمين بإنشاء المؤسسات الاجتماعية، كالمساجد والمدارس والرباطات والأسواق، التي توفر للمسلمين أسباب معاشهم وتيسير أمورهم، في كل ما يحتاجون إليه.

وكان البطل مهتماً بهذا الجانب، فجدد العمداء يثني على همة نور الدين في بنائه الرّبط والمدارس، فيقول:

هَمَّتْكَ الرُّبُطُ والمدارسُ تب نيتها ثواباً وتهدمُ البيعا (44)

وكان صلاح الدين مهتماً ببناء المدارس والزّباطات، فعندما فتح بيت المقدس، أمر ببناء مدرسة للفقهاء الشافعية، ورباطاً للصلحاء الصوفية، ووقف عليها وقوفاً، وأسدى بذلك على الطائفتين معروفاً، وارتاد أيضاً مدارس للطوائف، ليضيفها إلى ما أولاه من العوارف (45).

ويذكر العمداء ما يمتاز به الحاكم المسلم من صفات جعلت منه قائداً وحامياً للأمة، يوفر لها ما تحتاجه من متطلبات، ويعاملهم بعدل يبعث على المساواة بين أفراد الرعية، ومن ذلك وصفه لسياسة نور الدين في الحكم، وانعكاس ذلك على دولته ورعيته، يقول: "وكان عصره فاضلاً، ونصره واصلًا وحكمه عادلاً، وفضله شاملاً، وزمانه طيباً، وإحسانه صيباً، والقلوب بمهابته ومحبه ممتلئة، والنفوس بعاطفته وعارفته متملية، وأموره مقتبلة، وأوامره ممتثلة، وجدّه منزّه عن الهزل، ونوّابه في أمن من العزل، ودولته مأمولة مأمونة، وروضته مصوبة مصونة، والرياسة كاملة، والسياسة شاملة، والزيادة زائدة، والسعادة مساعدة، والعيشة ناضرة، والشيعه ناصرة، والإنصاف صاف، والإسعاف عاف، وأزر الدين قوي، وظمأ الإسلام روي، وزند النجح وري، والشرع مشروع، والحكم مسموع، والعدل مؤيّد والظلم معزول، والتوحيد منصور والشرك مخذول، وللتقى شروق، وما للفسوق سوق" (46).

والبطل يقود الأمة في الجوانب كافة، ليس فقط بالقيادة العسكرية في المعارك، بل في بناء المؤسسات الاجتماعية، وتوفير الأمن والاستقرار لأفراد رعيته، فنجدّه يشجع على العلم والتعلم، فيبني المدارس، ويجري لها النفقات، ويعقد مجالس العلم والأدب، ويشارك فيها، ويذكر العمداء حب صلاح الدين للعلماء وتقريبهم له، والإحسان إليهم، ومن ذلك قوله: "ويؤثر سماع الحديث بالأسانيد، وتكلم العلماء عنده في العلم الشرعي المفيد، وكان مداومة الكلام مع الفقهاء، ومشاركة القضاة في القضاء، أعلم منهم بالأحكام الشرعية، والأسباب المرضية، والأدلة المرعية" (47).

والبطل في قيادته للأمة، يقود الأرواح قبل الأجساد، وعلى قدر إحسانه للرعية، تكون المحبة والتعلق به، وعلى قدر البذل والعطاء والالتزام بالشرع، يتحول البطل القائد إلى رمز، يعني لأمتة الشيء الكثير، ولا غرابة أن يتعلق الناس بالبطل وبجوده، فهو الخلاص بالنسبة لهم، خلاص من الظلم والاستعباد والاحتلال في آن معاً، ويرى العمداء أن حب الناس للبطل واجب ديني، وبغضهم إياه يعد كفراً، فيقول في نور الدين:

وإنَّ حبَّكَ دينٌ وإنَّ بغضَكَ كفرٌ (48)

ومن الجدير بالذكر، أن العمداء في تمجيدهم لدور البطل الذي اضطلع به في صراعه مع الأعداء، لم يقف عند البطولين نور الدين وصلاح الدين وحدهما، بل مجّد أبطالاً آخرين، خاضوا غمار الحروب، وقادوا الأمة إلى

الانتصارات، وحققوا الأجداد الخالدة في تاريخنا الإسلامي، ومن هؤلاء الأبطال البارزين الذين لعبوا دوراً مهماً في جهاد العدو، أسد الدين شيركوه، ويرى فيه العماد نصراً للأمة الإسلامية، ورمزاً لعزتها ورفعتها، وفيه يقول العماد:

وما غضبتَ لدينِ اللهِ منتقماً إلّا لنيلِ رضا الرّحمنِ بالغَضَبِ
وأنتَ من وقعتَ في الكُفْرِ هيئتهُ وفي ذويه وقوعُ النَّارِ في الحُطْبِ
يا محييَ الأُمّةِ الهادي بدعوته للرّشْدِ كلّ غويٍ منهمُ وغبي
لما سعيّتَ لوجهِ اللهِ مرتقباً ثوابُهُ نلتَ عفواً كلّ مرتقبٍ (49)

ومن الذين مدحهم العماد وأشاد بأدوارهم البطولية ، والد صلاح الدين أيوب، فوصف عزمه وعمله الدؤوب لنصرة الدين، يقول:

موفقُ الرأيِ ماضي العزمِ مرتفعٌ على الأعاجمِ مجدداً والأعاريبِ
أحبكُ اللهُ إذْ لازمتَ نجدتَهُ على جبينِ بتاجِ الملِكِ معصوبِ (50)

وفي موضع آخر، يشيد العماد بالدور القيادي الذي لعبه البطل تقي الدين عمر، ويتغنى بصفاته القيادية، وفتكه بأعدائه، وصوّره كالكهف الذي يأوي إليه الجنود عند الحاجة، فيقول:

عدوكُ كالذّبابِ لَهُ طنينٌ وفيهِ ذبابُ سيفكُ ذو طنينِ
أخفتَ الشّرْكَ حتّى الدّعرِ منهم يُرى قبلَ الولادةِ في الجنينِ
وأضحى الدّينُ منكُ قريرَ عينٍ وظلّ الشّرْكَ ذا طرفٍ سخينِ
وكنّتَ لعسكرِ الإسلامِ كهفاً أوى منهُ إلى حصنٍ حصينِ
وأنتَ ثبتٌ دون الدّينِ تحمي حماهُ أوْانٌ ولّى كلّ دونٍ (51)

4. الموازنة بين أبطال الجهاد والمتقاعسين عنه:

رسم العماد صورة مشرقة للبطل المسلم، ووضّح دوره في قيادة مسيرة الجهاد ضد الغزاة والتصدي لهم، وأبرز دوره كذلك في رعاية أمور المسلمين والاهتمام بأمرهم، ولكي تكتمل صورة البطل المسلم عند العماد، نجده يقابل بين نموذجين من الحكام، مجاهد لا يتوانى عن أداء واجبه في التصدي للغزاة الطامعين، وذلك المتعاجر المتخاذل الذي انكفأ عن أداء واجبه، مؤثراً لذاته وشهوته على أداء الواجب، وتظهر الصورتان بشكل جلي في أدب العماد، بهدف إبراز الدور القيادي الذي لعبه البطل في صراعه مع العدو، وتلك الانتصارات والإنجازات التي

حققتها لنصرة الدين الإسلامي، وهذه الإنجازات والانتصارات هي التي تكشف المتقاعس والمتخاذل عن أداء واجبه، بل وتعرّيه أمام شعبه.

ومن أجل ذلك، نجدّه يعقد مقارنة بين بطله نور الدين وغيره من الحكّام، فيصف نور الدين بالوفاء والسهر على مصالح المسلمين، في حين ينাম غيره، وفي ذلك يقول:

يا أعظمَ النَّاسِ قَدْرًا وهلْ لغيرِكَ قَدْرُ
وسأهراً حينَ نأْمُوا وقائماً حينَ قَرَّوْا
ما اعتدتُ إلّا وفاءً وعادةُ القومِ غدرُ
وفعلكَ الدَّهرُ غزوّ للمشرِكينَ وقهْرُ

وفعلُ غيرِكَ ظلمٌ للمسلمينَ وقسرٌ (52)

وفي موضع آخر، يصوره ملكاً بعيداً عن الملذات، فاعلاً للخير، يتفوّق على ملوك زمانه في الجهاد وحكمه لرعيته، فيقول:

ما للملوكِ لدى ظُهورِكَ رَونَقٌ وإذا بدتْ شمسُ الضُّحَى خفي السُّها
إنَّ الملوكَ لَهَوَا وإنَّكَ من غَدا وبماليه والمملكِ منه ما لَهَا
شَرِهَتْ نفوسُهُم إلى دنياهُم وأبى لِنفْسِكَ زهْدُها أنْ تَشْرَهَا
فُتَّتْ الملوكُ سِماحةً وحِماسةً حتّى عَدِمْنَا فيهِم لَكَ مُشَبَّهَا
ولَكَ الفخارُ على الجميعِ فدوئُهُم أصبحتَ عن كلِّ العيوبِ مُنْزَهَا (53)

ويظهر العماد التباين الكبير بين أبطال الجهاد القائمين بأمور الدين والمملك، وبين الذين مالوا إلى الراحة، وانحرفوا وراء ملذاتهم وشهواتهم، فيقول في نور الدين:

بالدينِ والمملكِ له قيامُهُ وللملوكِ عنها قعودُها
ودأبُهُ ثلُمُ ثغورِ الكفرِ لا لثُمُ ثغورِ نافعِ بَرُوْدُها (54)

وتتكرر الفكرة عند العماد، حين يرسم صورتين متناقضتين، الأولى لحاكم مسلم همّه الجهاد، والثانية لحاكم متخاذل همّه إشباع رغباته، ومن ذلك قوله في نور الدين:

يُسمي ويصبُحُ في الجهادِ وغيرُهُ يضحى رضيعٍ سِلافةٍ وضجيعِ دُنْ (55)

وعندما يشكل البطل رمزاً لجهاد الأمة، فإنه يتفوق على غيره من الحكّام، ويحبه الناس دون غيره، فشتان ما بين البطل المجاهد وغيره من الحكّام المتقاعسين عن الجهاد، ويقول العماد في صلاح الدين:

إليك هجرتُ ملوكَ الزَّمانِ فما لكَ واللهِ فيهِم نظيرُ

وفجركَ فيه القرى والقرآن جميعاً وفجرُ الجميعِ الفجورُ
وأنتَ تريقُ دماءَ الفرنجِ وعندهمُ لا ترائُ الخُمورُ (56)

ولا عجب إن التقت الرعية حول بطل من هذا النوع، يطرب للرماح المشرعة للردى، وتتخضب سيوفه بدماء الأعداء، وتحول فرسانه في ميادين القتال، في حين نجد الحكام الآخرين يميلون للمزح وشرب الخمر والملاذات بأنواعها.

وحينما كان المسلمون يحققون انتصاراً على أعدائهم، كان العماد يشيد بالقائد البطل الذي حقق هذا النصر، ويعيب على الملوك الآخرين عجزهم وتخاذلهم، ذلك أن البطل سلك طرقاً للمجد والعلا، بينما تقاعس الآخرون عن تسجيل أسمائهم في صفحات المجد، وفي ذلك يقول العماد مادحاً صلاح الدين:

أدركتَ ما أعجزَ الملوكُ وقدَّ باتَ إلى بعضِهِ تشوُّفُها
جاوزتَ غاياتِ كلِّ منقبةٍ يعزُّ إلاَّ عليكَ موقُفُها
وإنَّ طُرُقَ العلاِّ واضحةٌ آمنُها في السُّلوكِ أخوُفُها (57)

ولعل هذه النماذج تعطي صورة واضحة للحكام المتقاعسين عن مواجهة العدو المحتل، وذلك من خلال مقارنة بطلان الجهاد، وذكر إنجازاتهم، فحين فتح صلاح الدين بيت المقدس في زمن كان المسلمون فيه يعيشون حالة من الانقسام والتشرذم، أشاد العماد بهذا النصر المؤزر للأمة الإسلامية، وهنأ صلاح الدين بهذا الفتح الجليل، الذي عجز عنه الملوك، وتقاشرت عنه أيديهم، وتمكن منه البطل المقدام صلاح الدين، وفي ذلك يقول: "وكلهم يهنئه بما أفرد الله بفضيلته، وخصه بنجح وسيلته، وأقدره عليه وقد عجز عنه الملوك، وهده إلى سبيله وقد تعذر بهم إليه السلوك، وهو فتح القدس الذي درج على حسرته القرون الأولى، وتقاشرت عنه أيديهم المتطولة وتمكنت منه يده الطولى" (58).

وقد وقف بعض الحكام مواقف تخاذل، شكلت عقبة في وجه الوحدة الإسلامية، فكان هؤلاء الحكام يتصلون بالفرنج، يدفعهم إلى ذلك مصالحهم الشخصية، وذكر العماد طائفة منهم وذم عاداتهم، وفي ذلك يقول: "كلما عزمنا على خير عرضت في طرقه الطوارق، وعاشت دونه العوائق، واعترض نجهج إخوان الشياطين، وعاشت في سرجه أشباه السراحين، ونلقى ضد ما هو الواجب من وفاء الملوك ووفاء السلاطين، وقد بُلينا من المسلمين بما لا نصفه من رفضهم أمر الدين وإغماضهم دون مصالحه، واعتراضهم مناهج مناجحه، فليتهم إذ فرغوا للذاتهم، ومعاشرة لذاتهم، ومباشرة شهواتهم، ومراضعة أخلاف لهوهم، ومضارعة أخلاف رهوهم، ومخادعة أطماعهم، ومضاجعة طباعهم، ومبايعة دُهم بدينهم، ومتابعة الشك بمخالفة يقينهم" (59).

ويذكر العماد أن هنالك حكماً كانوا يتعاونون مع الصليبيين، ويسهلون دخولهم إلى البلاد الإسلامية، مما يشكل خطراً عظيماً على الأمة الإسلامية في صراعها مع عدوها، ومنهم السلطان السلجوقي الذي ترأس مع ملك الألمان، وسهل له مهمة عبور البلاد الإسلامية، ونعت العماد المسلم الذي يقف مع الكافر بالكافر، وفي ذلك يقول: "وتراسل هو وملك الألمان، واتفقا في الباطن على ما كان بينهما من الموائيق والأيمان، وحمل ملك الألمان له وُفراً وافراً، وأشبهه المسلم بالكف عن الكافر كافراً، ووافقه على العبور إلى الأقاليم الشامية، والبلاد الإسلامية" (60).

وهنالك فئة من المسلمين، تحاذلوا وتقاعسوا عن القتال والنزال، وتعودوا حياة الكسل واللهو، فعندما فتح السلطان صلاح الدين الأيوبي مدينة آمد في سنة 579هـ، وصف العماد هذه الفئة المتخاذلة، وأسبغ عليهم صفات تدل على تخاذلهم وتقاعسهم عن القيام بالواجبات الموكولة إليهم، وفي ذلك يقول: "وكنا إذا شددنا القتال ورددنا النزال، وقفوا بمعزل وقوف النظارة، وحسبوا أن الخسارة في الجسارة...، وإنما ألفوا مدانة الدنان ومعاقرة العقار، وأنين الأوتار، وحنين الأوطار، ونعرات الصنج، وغمزات الغنج، ورموز الزمور وبدور الخدور، وأقمار القصور وشموس الندام، وكؤوس المدام" (61).

وفي معرض ذلك يوازي العماد بين فئتين متناقضتين، فيقول: "فهؤلاء الذين ألفوا الراح والراحة، واعتادوا في بحر الطرب السباحة، كيف يصح اعتزاء اعتزامهم وتثبت إقدام أقدامهم، وكيف يطلبون متاع المتاعب، ويركبون مطا المطالب..." (62).

ويبدو أن العماد قد حشد قدراً كبيراً من الصفات المتناقضة بين أبطال الجهاد والمتقاعسين عنه، بهدف رسم صورة جليلة للباحثين عن الملدات والشهوات، حتى أن دورهم كان سلبياً في صراع المسلمين مع الفرنجة، غايتهم المصالح الشخصية والمتع الدنيوية، وكأن أمر هذا الصراع لا يعينهم.

وهنالك من الحكام، من ساءت أفعاله، وظلم رعيته، وخرج عن أنظمة الدولة الإسلامية وقوانينها، وتحاذل عن الأمور التي تهم الرعية، كالجهاد في سبيل الله ووحدة الصف الإسلامي، فهذا غازي بن حسان صاحب منبج، قد سلك دروب المتقاعسين، ما دفع نور الدين إلى محاصرته وانتزاع القلعة منه، وفي ذلك يقول العماد:

ما أعجزتك الشُّهْبُ في أبراجها طلباً فكيف خوارج في أبرج
وَلَقَدْ رُ منْ يعصيكَ أحقرُّ أن يرى أثرَ العبوسِ بوجهك المتبلِّج
لكنَّ تُهْدَبُ من عصاك سياسةً في ضمئها تقويمُ كلِّ مُعْوَج (63)

5. رثاء البطل:

كان من الطبيعي أن يقف الأدب حزناً باكياً، عندما يهوي نجم من هذه النجوم التي كانت تلمع أمام المسلمين، وتضيء قلوبهم، وتخلق في نفوسهم الأمل، في حياة تتطهر فيها أرضهم من آثام العدو الغاصب، وأن يُسجل لهؤلاء الأبطال ما قدموه في حياتهم، مما يخلّد ذكركم، ويضعهم أمام خلفهم مثلاً يقتدى بهم (64)، خاصة بوجود أبطال قادوا المسلمين، وحققوا لهم الانتصارات، وجمعوا الأمة الإسلامية بعد أن تفرقت، وتمكنوا من استعادة ما أخذ من بلادهم، وعبر العمداء عن الأسى العميق الذي لحق بالأمة الإسلامية، بوفاة هؤلاء الأبطال، فرثاهم وعدد مناقبهم، وصور حال الأمة لفقدانهم، بصور معبرة توحى بألم عميق لفقدانهم.

وقد وصف العمداء موت البطل نور الدين في سنة 569هـ بقوله: "وانتقل حادي عشر شوال يوم الأربعاء من مربع الفناء، إلى مرتع البقاء، ولقد كان من أولياء الله المؤمنين، وعباده الصالحين، وصار إلى جنات عدن أعدت للمتقين" (65).

ووصف كذلك موت البطل صلاح الدين في سنة 589هـ بقوله: "وانتقل من دار الفناء إلى دار البقاء، في سحرة يوم الأربعاء، ونابت الظلماء عن الضياء، ودخل قمره ليلة السابع والعشرين في السّرار، ودجت مطالع الأنوار" (66).

ويظهر العمداء مدى الحزن الشديد الذي أُلّمّ بالمسلمين بسبب وفاة بطل من أبطال الإسلام، هو نور الدين زنكي، وصوّر موته بالفاجعة الكبرى التي أصابت المسلمين، وفي رثاءه لنور الدين، يظهر التفجع والتحسر الذي أصاب الإسلام والمسلمين، فالدين الإسلامي أظلم، والدهر أصيب بالغم والحسرة، وما على الإسلام إلا أن يندب حظه العاثر لموت حامي أهله، ولأن الشام أصبح مهدداً بالضميم، عليه كذلك أن يشارك في البكاء والتفجع، وفي ذلك يقول:

الدِّينُ فِي ظِلِّ لَغِيْبَةٍ نَوْرِهِ والدَّهْرُ فِي غَمِّ لَفَقْدِ أَمِيرِهِ
فَلْيَنْدُبِ الْإِسْلَامُ حَامِيَ أَهْلِهِ والشَّامُ حَافِظَ مَلِكِهِ وَتَغْوَرِهِ
مَا أَعْظَمَ الْمَقْدَارَ فِي أَخْطَارِهِ إِذْ كَانَ هَذَا الْخُطْبُ فِي مَقْدُورِهِ
مَا أَكْثَرَ الْمُتَأَسِّفِينَ لَفَقْدِ مَنْ قَرَّتْ نَوَاطِرَهُمْ بِفَقْدِ نَظِيرِهِ (67)

وعندما يرثي العمداء صلاح الدين الأيوبي، يصور موته بالمصيبة التي عمّت كل شيء، ويمتد الحزن والأسى لموته حتى يشمل البلاد الإسلامية والمسلمين، ويمتد ليصل الخيول والسيوف والرماح، فالكل حزين لموته، فيقول:

وكعادة البيت المقدس يحزن الـ بيت الحرام عليه بل عرفائه

بكت الصَّوَارُمُ والصَّوَاهِلُ إِذْ خَلَتْ من سَلَّهَا وركوبها غزواتُهُ
وبسيفه صدأً لحزنٍ مصابه إِذْ لَيْسَ يشفي بعده صديانُهُ
يا وحشتاً للبيضي في أعمادها لا تنتضيها للوغي عزمائُهُ
يا وحشة الإسلام يومَ تمكَّنت في كلِّ قلبٍ مؤمنٍ روعائُهُ
يا حسرتاً من بأسٍ راحته الذي يقضي الزَّمانُ وما انقضت حسرائُهُ (68)

ويزداد البكاء والتأسف على موت نور الدين زنكي، والذي بوفاته انقلبت الموازين، واختلت الأمور، حتى أن الكفر كاد يعلو على الدين، يقول العماد:

لفقد الملك العاد لِي ييكي الملك والعَدْلُ
وقد أظلمت الآفا قُ لا شمسٌ ولا ظلُّ
ولما غاب نورُ الدِّينِ عَنَّا أظلمَ الحفـلُ
وزال الخصبُ والخيرُ وزاد الشرُّ والمحلُّ
وماتِ البأسُ والجودُ وعاشَ اليأسُ والبخلُ
وكاد الدِّينُ ينحطُّ وكاد الكفرُ أن يعلو (69)

ويبدو أن الحزن والأسى لم يكن لذات القائد، بقدر ما كان يعنيه للمسلمين من قيم وفضائل وصون للدين، فعندما توفي صلاح الدين الأيوبي، وصف العماد أثر موته على الرعية، بما كان يشكل لها من فضائل، وكيف أن موته قد قلب الأمور، فغابت الفضائل، وانقطعت الأرزاق، حتى أن الزمان نفسه قد فُجع بموته، وفي ذلك يقول: "وتوفي بكرة الأربعاء السابع والعشرين، ونقله الله في دسسته العالي إلى أعلى عليين، ومات بموته رجاء الرجال، وأظلم بغروب شمس فضاء الأفضال، وغاضت الأيادي، وفاضت الأعادي، وانقطعت الأرزاق، وادهمت الآفاق....، وخاف الآمن، وخاب الآمل، وقنط السائل، وشُحط النائل، وطردت الضيوف، وتكر المعروف، ودُفن بالقلعة في داره، وفُجع الزمان بأنواره، وعدمت الأيام صباحها، والآمال نجاحها، ودُفن معه الكرم، وغلب بعد وُجوده وَجُوده الغُدم والغُدم" (70).

وبموت البطل تظهر الحاجة إليه، وهذا ما دفع العماد للتساؤل عن مصير المسلمين بعد موت نور الدين، وقد عُرِف عنه اهتمامه الشديد برعاية أمور المسلمين، من بناء للمساجد والمدارس، ونصرته لدين الله، وعطاء يجبر كل كسر، وفي ذلك يقول العماد:

منُ للمدارس والمساجدِ بانسياً لله طوعاً عن خلوص ضميره

مَنْ يَنْصُرُ الْإِسْلَامَ فِي غَزَوَاتِهِ فَلَقَدْ أُصِيبَ بِرُكْنِهِ وَظَهِيرِهِ
 مَنْ لِلخُطُوبِ مَذَلَّالًا لَجْمَاحِهَا مِنْ لِلزَّيْمَانِ مَسْهَلًا لَوْعُورِهِ
 مَنْ لِلكَرِيمِ وَمَنْ لِنَعَشِ عِثَارِهِ مِنْ لِلْيَتِيمِ وَمَنْ لِحَبْرِ كَسِيرِهِ (71)
 ويستعرض العماد أعمال البطل ومنجزاته في معرض حديثه عن موت البطل، ويصور الفراغ الكبير الذي تركه
 موت البطل في حياة المسلمين، ومن ذلك قوله في رثاء صلاح الدين:
 أَيْنَ الَّذِي عَنَتِ الْفَرَنْجُ لِبَاسِهِ ذَلًّا وَمِنْهَا أَدْرَكَتْ ثَارَاتُهُ
 أَغْلَالُ أَعْنَاقِ الْعَدَا أَسْيَافُهُ أَطَوَّقُ أَجْيَادِ الْوَرَى مَنَائُهُ
 مَنْ فِي الْجِهَادِ صَفَاحُهُ مَا أُغْمِدْتُ بِالنَّصْرِ حَتَّى أُغْمِدْتُ صَفْحَاتُهُ
 مَنْ فِي صَدُورِ الْكُفْرِ صَدْرُ قَنَاتِهِ حَتَّى تَوَارَتْ بِالصَّيَاحِ قَنَاتُهُ
 مَسْعُودَةٌ غَدَوَاتُهُ مَحْمُودَةٌ رُوحَاتُهُ مَيْمُونَةٌ ضَحَوَاتُهُ (72)
 ويتأسف المسلمون على أيام البطل، عندما يحل الفساد بعد موته، وتقوى شوكة أعدائهم، وتضطرب
 أمورهم، ومن ذلك قول العماد في نور الدين:

أَنْتَ الَّذِي أَحْيَيْتَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ وَقَضَيْتَ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِنَشُورِهِ
 كَمْ قَدْ أَقَمْتَ مِنَ الشَّرِيعَةِ مَعْلَمًا هُوَ مِنْذُ غَبَتْ مُعَرَّضٌ لِدُثُورِهِ
 كَمْ قِصِيرٍ لِلرُّومِ زُمْتَ بِقَسَرِهِ إِرْوَاءَ بَيْضِ الْهِنْدِ مِنْ تَامُورِهِ
 أَوْتَيْتَ فَتَحَ حَصُونِهِ وَمَلَكَتْ عُقْرَ بِلَادِهِ وَسَبَّيْتَ أَهْلَ قُصُورِهِ (73)
 وما يرتبط برثاء البطل، ذكر مناقبه المحمودة، والتي تمثل المثل العليا في المجتمع الإسلامي، كالكرم والشجاعة
 والتقوى، وهو ما يملأ القلوب بحب البطل، واشتياقهم إليه، ومن ذلك قول العماد في رثاء صلاح الدين:
 أَيْنَ الَّذِي مُدَّ لَمْ يَزَلْ مَخْشِيَةً مَرْجُوَّةً رَهْبَاتُهُ وَهَبَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي كَانَتْ لَهُ طَاعَاتُنَا مَبْدُولَةً وَلِرَبِّهِ طَاعَاتُهُ
 بِاللَّهِ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي لِلَّهِ خَالِصَةٌ صِفَتْ نَيَّاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا يُرْجَى نِدَائُهُ وَتُنْتَقَى سَطَوَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي شَرُفَ الزَّيْمَانُ بِفَضْلِهِ وَسَمَتْ عَلَى الْغُضَاءِ تَشْرِيفَاتُهُ (74)

ويشكل موت البطل أمراً عظيماً لدى أبناء الأمة الإسلامية، هذا ما دفع العماد إلى مقارنته بغيره من الملوك،
 وتمييزه عنهم بما قدمه وأسده للإسلام من خدمات جليلة، فيقول في رثاء صلاح الدين:
 هَلْ لِلْمُلُوكِ مِثْلُهُ فِي مَوْقِفٍ شَدَّتْ عَلَى أَعْدَائِهِ شِدَاتُهُ

وإذا الملوک سعا وقصّر سعئهم رجحت وقد نبحث به مسعاته(75)

ويشکل الدعاء للميت نوعاً من الرغبة في الرحمة والمغفرة، مما يجعل الميت حياً خالداً لا يموت، في دار أعدها

الله للخلود، ومن ذلك قول العماد في رثاء صلاح الدين، حيث دعا له بالسقيا وبرحمة الله ومغفرته، يقول:

فعلى صلاح الدين يوسف دائماً رضوان رب العرش بل صلواته

لضريحه سقيا السحاب فإن يغب تُحضر لرحمة ربه سقياته(76)

ويدعو العماد لنور الدين بحسن المقام في الآخرة، وأن تكون الجنة دار النعيم التي يستقر فيها، فيقول:

حيّاك معتل الصبا بنسيمه وسقّاك مُنهل الحيا بذروره

ولبست رضوان المهيم ساحباً أذيل سندس خزه وحريه

وسكنت عليّين في فردوسه حلّف المستر ظافراً بأجوره(77)

ومما يندرج أيضاً تحت باب رثاء البطل، التعزية والمواساة والتعبير عن مشاعر الحزن والأسى لفقدان البطل، ويشمل

ذلك الوصية لمن بعده، وعقد الآمال عليهم، وحثهم على سلوك الدرب نفسها التي سلكها البطل، ومن ذلك

قوله في رثاء نور الدين وتوصية من بعده:

وجاء الفرغ بالمقصو د لما ذهب الأصل

وجود البعض كالكل إذا ما فقد الكل

وليث الغاب إن غاب حمى موضعه الشبل(78)

ويعزي العماد أبناء صلاح الدين ويوصيهم بأن يقتدوا بسنة أبيهم، وينهجوا نهجه، ويصف أبناءه بالهضاب

التي تغني عن موت البطل الذي كان كالجبل، فيقول:

أبني صلاح الدين إن أباكم ما زال يأبى ما الكرام أبائهم

لا تقتدوا إلا بسنة فضله لتطيب في مهد التميم سنائهم

ويردوا موارد عدله وسماحه لترد عن نهج الشّمات شمائهم

ولئن هوى جبل لقد بُنيّت لنا بنيه من هضباته ذرواته(79)

وكانت رسائل التعزية التي سطرها العماد، تسجل مآثر البطل وفضائله، وتصور جلال الرزء بفقدته، وتعزي

بالفقيده وتحت من بعده على مواصلة الجهاد، ومن ذلك كتاب أنشأه العماد عن الملك الصالح إسماعيل بن نور

الدين زنكي، إلى صلاح الدين في تعزيته بنور الدين، يقول: "أطال الله بقاء سيدنا الملك الناصر، وعظم أجرا

وأجره في والدنا الملك العادل، ندب الشام، بل الإسلام، حافظ ثغوره، وملاحظ أموره....، فما فقد رحمه الله

تعالى، إلا صورة والمعنى باق، والله تعالى حافظ لبيته واق، وهل غيره دام شموه من مؤازر، وهل سوى السيد الأجل

الناصر من ناصر، وقد عرفناه المقترح، ليروض برأيه من الأمر ما جمح، والأهم شغل الكفار، عن هذه الدثار، بما كان عازماً عليه من قصدهم والنكاية فيهم على البدار" (80).

وفي كتاب أنشأه العماد عن الملك الأفضل ابن صلاح الدين، بعث به إلى سيف الإسلام أخي صلاح الدين، يصور فيه مدى الفجيعة التي حلت بالمسلمين، ومدى الذهول الذي أصابهم لفقد الناصر صلاح الدين، وفيه يقول: "صدرت هذه المكاتبه معربة عن النبأ العظيم، والخطب الجسيم، والرء العميم، والحادث الأليم، والكارث المقعد المقيم....، والغمة التي غامت بها الأيام، وعُغم لها الأنام، واعتل منها الإسلام، واختل النظام، فقد عدمت المطالع ضياءها، والمشارع صفاءها، والثغور سدادها، والأمور سدادها....، فقد فقدت الدنيا بمجتها، وضلت العلياء محجتها، واهتدى الضلال إلى الهدى، وأقوى نادي الندى، وأقفر مغاني الغنى....، وذلك بما أجراه الله من قضائه المحتوم، وأظهره من ستر قدره المكتوم، بمصاب مولانا الملك الناصر، روح الله روحه، وروض في جنان رضوانه وغرفات غفرانه ضريحه، فقد عظم الخطب وحلّ، وحلّ عرا الجلد حين حلّ، وثلم غرب الصبر وفلّ، وأجرى غرب الدموع، وأزكى كرب الضلوع...." (81).

ويصور العماد أيضاً منجزات الفقيه وأعماله، التي عادت بالنفع على الأمة الإسلامية، فيقول: "فلا جرم أذل الله له الملوك والأعزة، ووهب لأعطاف الدولة للتباهي بملكه الهزة، وملكه الأقاليم والأمصار، وأجرى بإقداره الأقدار، فأزال عن مشاريع الشريعة الأكدار، وعطل البدعة بمصر واليمن والشام، وقمع أعداء الإسلام، ومدد الله في عمره حتى بلغ المراد، وفتح البلاد، ووفى في حق الجهاد، الجد والاجتهاد، وقدر على ما أعجز عنه الملوك، ونجح في نصرة الدين نهجاً أعوز من قبله فيه السلوك، وأخرج الفرنج عن الساحل وأبادها، وملك عليها ديارها وبلادها، وأوهى على الكفرة معاهد معاقلها، وطال بحقه على باطلها، وأقصى عن المسجد الأقصى مُدُنُسيه، وأزال عنه أيدي غاصبيه، وأصرخ الصخرة المطهرة وطهرها من الأرجاس، وأبعد عنها أجناس الأنجاس، وقهر الكفر وخذله، ونصر الإيمان وأخذ له، وأحيا للكرم كل سنة حسنة" (82).

ويصور العماد أيام صلاح الدين، وما عمّ فيها من خير وإحسان على الرعية، ومموته تبدلت أحوال الرعية، واضطربت أمورهم، يقول: "واستمرت محاسن أيامه سنة بعد سنة، وتعذلت بعدله الجوانح، وتذلت ببأسه الجوامح، ودنت له الممالك القاصية، وأذعنت إذ عنت لحكمه الأماني العاصية، وملكت القلوب والقبول مهابته ومحبته، وعمت الخواص والعوام عارفته وعاطفته....، وما كان أبهج الأيام بأيامه، والأعصار بمزايه، والأمصار بمحاسنه، والإسلام بسلطانه، والآفاق بسنى إحسانه، وما كان أسعدنا بمجدوده، وأحدنا بسعوده، وأغنانا بعدله وجوده، فقد فُقد الصباح فلا سنى، ودُفن السماح فلا جدى ولا جنى، وغاض البحر فلا غنى، وهوى الطود

فلا ثبات، وذوى الروض فلا نبات، ووهى الركن فلا سند، وانتهى اليُمن فلا جدد، وغلب الكمد فلا جلد، وعزّ العزاء فلا عزّ ولا قوة ولا عضد" (83).

وفي كتاب أُرسِل إلى الديوان العزيز في بغداد، يصور العماد أثر موت صلاح الدين على الدولة الإسلامية، وحال الذين حاولوا الخروج على الدولة، ويهدف العماد إلى إظهار هيبة البطل، فعندما كان حاكماً وقائداً للأمة الإسلامية، لم يجرؤ أهل الخلاف والشقاق على أن يأتوا بمركبة، وهذا يبيّن حجم الثغرة التي خلفها بموته، ولكن العماد يدعو ويتهمل أن تستمر المسيرة التي أرسى قواعدها البطل، وفي ذلك يقول: "وهذا الحادث أرجف المرجفون بحديثه وأثاروا كوامن الثار، وحركوا سواكن الأوتار بتأثيره وتأريثه، وأخرج أهل النفاق رؤوسهم من كل نفق، وعاد ثبات ثباتهم إلى نفارٍ وقلق...." (84)

الخاتمة و النتائج:

تناولت هذه الدراسة صورة البطل المسلم في أدب العماد الأصفهاني، ودوره في البناء الفكري والحضاري، لعصر كثرت فيه الحروب والمعارك، بين المسلمين المدافعين عن أرضهم ومقدساتهم، وبين الصليبيين القادمين للاستيلاء على الأرض الإسلامية ونهب خيراتها.

وبيّنت الدراسة الدور الذي اضطلع به البطل المسلم، في مواجهة الغزو الصليبي للبلاد الإسلامية، وبيّنت جوانب شخصية البطل المسلم، والتي تمثلت فيها الصورة المثلى للبطل المسلم، بما يتحلى به من صفات وفضائل، أهّلته لقيادة الأمة الإسلامية، والإشادة بدوره في توحيد الأمة ولمّ شملها، ودوره في قيادة المعارك والتخطيط لها، وتحقيق الانتصارات على العدو الغاشم.

وكان العماد في تمجيدهِ لشخصية البطل المسلم، يوازن بين أبطال الجهاد، وبين المتقاعسين والمتخاذلين عن أداء دورهم الجهادي ضد الأعداء، كما بكى العماد أبطال الجهاد، ورثاهم وعدد مناقبهم الحميدة، ودعا لهم بالرحمة والمغفرة، ويبيّن أن خسارة المسلمين عظيمة، وأن مصابهم جلل.

وأخيراً، فقد كشفت الدراسة عن جانب إعلامي - غطاه العماد - للدور الذي اضطلع به القائد المسلم، تمثل في الدعوة إلى الوحدة بين الأقطار الإسلامية، والحثّ على الجهاد واستنهاض همم المسلمين.

كما أظهرت الدور الفذ، الذي لعبه البطل المسلم، في مواجهة الأعداء، وتحرير المقدسات، وإلحاق الهزائم بالمعتدي، علاوة على تسليط الضوء على جوانب مهمة من الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية وحتى الاقتصادية، في ذلك العصر.

-الهوامش:

- (1) ضيف، شوقي، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف - القاهرة، ط2، (1970م)، ص7.
- (2) إبراهيم، محمود، ، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، دار البشير - عمان، ط2، (1988م)، ص155.
- (3) أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نضلة مصر للطباعة والنشر- القاهرة، ط2، (1979م)، ص327.
- (4) العماد الأصفهاني، الديوان، جمع وتحقيق ناظم رشيد، كلية الآداب - جامعة الموصل، (1983م)، ص 410 - 417.
- (5) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 234.
- (6) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 192.
- (7) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 170 - 172.
- (8) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 247.
- (9) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 125.
- (10) أبو شامة المقدسي، (ت665هـ)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، (1997م)، ج 2 / 277 - 278.
- (11) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 160.
- (12) العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، (1965م)، ص215.
- (13) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 214.
- (14) محمود إبراهيم، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، ص 156.
- (15) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 175.
- (16) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 421.
- (17) البنداري، الفتح بن علي (623هـ)، سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النراوي، مكتبة الخانجي، (1979م)، ص16.
- (18) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 160.
- (19) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 449.
- (20) البنداري، سنا البرق الشامي، ص 26 - 27.
- (21) أبو شامة المقدسي، الروضتين، 34/2 - 35، والأبيات لم تذكر في الديوان، باستثناء البيت الأول، انظر: الديوان، ص 446.
- (22) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 206، وانظر أيضاً معاملة صلاح الدين لأهل القدس من الفرنجة عندما فتحها، ص 135.
- (23) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 145.
- (24) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 418.

- (25) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 308.
- (26) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 170.
- (27) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 411.
- (28) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 176.
- (29) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 417.
- (30) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 223.
- (31) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 77.
- (32) العماد الأصفهاني، البرق الشامي، 36/3.
- (33) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 411.
- (34) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 377 - 378.
- (35) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 413.
- (36) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 160.
- (37) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 144.
- (38) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 161.
- (39) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 382.
- (40) العماد الأصفهاني، البرق الشامي، تحقيق مصطفى الحيارى، مؤسسة عبد الحميد شومان - عمان، ط1 (1987م)، ج 26. 25/5.
- (41) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 144.
- (42) البنداري، سنا البرق الشامي، ص 26.
- (43) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 286.
- (44) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 286.
- (45) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 145.
- (46) أبو شامة المقدسي، الروضتين، 50/1.
- (47) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 145.
- (48) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 174.
- (49) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 81.
- (50) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 83.
- (51) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 426 - 429.
- (52) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 175.

- (53) أبو شامة المقدسي، الروضتين، 34/2 - 35 .
- (54) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 144.
- (55) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 421.
- (56) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 194.
- (57) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 310-311.
- (58) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 181.
- (59) العماد الأصفهاني، البرق الشامي، ص 136/3.
- (60) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 390.
- (61) العماد الأصفهاني، البرق الشامي، 88/5.
- (62) العماد الأصفهاني، البرق الشامي، 90/5.
- (63) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 102.
- (64) أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية، ص 513.
- (65) أبو شامة المقدسي، الروضتين، 309/2 .
- (66) أبو شامة المقدسي، الروضتين، 367/4.
- (67) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 212-213.
- (68) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 89.
- (69) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 336 - 337.
- (70) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 627.
- (71) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 213.
- (72) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 87.
- (73) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 214-215.
- (74) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 87.
- (75) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 91 .
- (76) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 89، وانظر: ص 340 .
- (77) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 215-216 .
- (78) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 338 .
- (79) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 92 .
- (80) أبو شامة المقدسي، الروضتين، 318/2 - 319، وانظر: سنا البرق الشامي، ص 32 .
- (81) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 644 - 645.

(82) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 446 - 447 .

(83) العماد الأصفهاني، الديوان، ص 647 .

(84) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 652 .

قائمة المراجع:

- إبراهيم، محمود، ، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، دار البشير -عمّان، ط2، (1988م) .
- أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نخضة مصر للطباعة والنشر- القاهرة، ط2، (1979م).
- أبو شامة المقدسي، (ت665هـ)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، (1997م)، ج2.
- البنداري،الفتح بن علي (623هـ)، سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي ، (1979م) .
- العماد الأصفهاني، البرق الشامي، تحقيق مصطفى الحيارى، مؤسسة عبدالحמיד شومان - عمان، ط1(1987م)، ج 5.
- العماد الأصفهاني، الديوان، جمع وتحقيق ناظم رشيد، كلية الآداب - جامعة الموصل،(1983م) .
- العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، (1965م) .
- ضيف، شوقي، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف - القاهرة، ط2، (1970م).